سالم
موقع التفريغ
للدروس العلمية والبحوث الشرعية
www.attafreegh.com

محاضرة

أسباب زيادة الإيمان ونقصانه

فضيلة الشّيخ عبد الرزاق البدر

حفظه الله تعالى

النُّسخة الإلكترونيَّة (٢)

الشيخ لم يراجع التفريع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ قدوتنا محمد بن عبدالله، صلوات الله وسلامه عليه وعلىٰ آله وصحبه أجمعين. أما بعد؛

أيها الإخوة المؤمنين.. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

إنّ موضوع هٰذه الكلمة في هٰذه الأمسية التي نسأل الله -جل وعلا- أن تكون أمسية خيرٍ وبركةٍ وعلمٍ وإيمان، موضوع هٰذه الأمسية عن: **زيادة الإيمان ونقصانه**.

ونحن نعلم -أيها الإخوة- أهمية الإيمان، وعظم شأنه، وجلالة قدره، ورفيع مكانته، وكثرة عوائده وفوائده علىٰ العبد المؤمن في الدنيا والآخرة، الإيمان الذي لا سعادة ولا فلاح ولا فوز إلا به ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١﴾[المؤمنون]، ففلاح الإنسان وسعادته في الدنيا والآخرة مرتبط بالإيمان، فكلّما عظم إيمانه وزاد وقوي عظم حظّه من السعادة والخير والفلاح، وكلّما نقص نقص.

الإيمان الذي ينال به العبد رضا ربه الكريم؛ لأن الله ﷻ لا يرضىٰ إلا عن المؤمن، ولا يقبل عمل أحد إلا المؤمن، فنيْل رضىٰ الله -جل وعلا- وكسب محبته -جل وعلا- وتحصيلُ ذلك إنما يكون بالإيمان به وبما أمر به -جل وعلا- عباده أن يؤمنوا به.

الإيمان -أيها الإخوة- الذي ينال به العبد جنةً عرضها كعرض السماء والأرض أعدّها الله -جل وعلا- وهيأ فيها من أصناف النعيم وأنواع الملذّات وأنواع الخيرات ما لا تعلمه عين وما لا يخطرعلىٰ قلب بشر، لا يُنال ذلك إلا بالإيمان.

الإيمان الذي ينال به العبد رؤية الله الكريم ﷻ، رؤية الله ﷻ التي هي أكمل وألذّ نعيمٍ كما قال -عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ-: «**إنكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر**»[1] وقال الله تعالىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾[القيامة]، فالمؤمن ينال بإيمانه هٰذه اللذة العظيمة وهٰذا الثواب العظيم الكريم.

أمّا غير المؤمن فشأنه في هٰذا الأمر كما قال الله -جل وعلا: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝١٥ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ۝١٦﴾[المطففين]، فغير المؤمن محجوب من كل خير، ممنوع من كل لذة وسعادة

---

(١) **البخاري**: كتاب التفسير، باب قوله: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ۝٣٩﴾[ق]، حديث رقم (٤٨٥١). **مسلم**: كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، حديث رقم (١٨٣). واللفظ قريب منه. وانظر أيضا السنة لابن أبي عاصم، باب ما ذكر عن النبي عليه السلام كيف نرىٰ ربنا في الآخرة، حديث رقم (٤٦٧) وغيره.

وفرح وسرور في الدنيا والآخرة، ومحجوب عن رؤية الله وعن نعيم الله وعن ثواب الله وعن ما أعدّه الله -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ- لعباده المؤمنين.

الإيمان -أيها الإخوة- الذي ينجو به العبد من النار ومن سخط الجبار ومن عقابه وانتقامه، والله -جل وعلا- أعد نارًا تلظّىٰ قعرها بعيد وحرّها شديد وألمها فظيع، أعدها لغير المؤمنين ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾[البقرة]، الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يؤمنون بما أمر الله - تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ- عباده أن يؤمنوا به، وأما المؤمن فإنه بإيمانه ينجو من النار وإن كان مؤمنًا مقصِّرًا، مؤمنًا مفرِّطًا، مؤمنا مضيعا، قد ارتكب الذنوب فربما عُذِّب علىٰ كبائره وذنوبه لكن كما قال الله -جل وعلا- في الحديث القدْسي: «**أخرجوا من النار من كان في قلبه مثال ذرة من إيمان**».(١)

الإيمان -أيها الإخوة- الذي ينال به العبد السعادة في الدنيا والراحة والطمأنينة وسكون القلب وهدوء البال وراحة الخاطر، كل ذلك لا يُنال إلا بالإيمان، قال الله تَعَالىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾﴾[الرعد].

وثمار الإيمان وفوائده العظيمة ونتائجها المباركة الكريمة في الدنيا والآخرة لا تُحصىٰ ولا تعد؛ بل كل خير ونعمة وراحة ولذّة وسرور في الدنيا والآخرة فهو ثمرة من ثمار الإيمان ونتيجة من نتائجه، وكل شر وبلاء في الدنيا والآخرة فهو نتيجة من نتائج ضعف الإيمان أو عدمه.

فالخيرات كلُّها مترتبة علىٰ الإيمان ومبنية عليه، والشرور كلها مترتبة علىٰ ضدِّه.

ولهٰذا فإنّ نعمة الله - تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ - علىٰ عبده بهدايته للإيمان وتوفيقه له للقيام به نعمة لا تعادلها نعمة، ومنّة لا تعادلها منّة، فأكبر النعم وأجلّ العطايا وأثقل الهبات الهداية للإيمان وهي منّة من الله وتوفيق؛ قال الله تعالىٰ: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةًۚ ﴾[الحجرات]، فالإيمان فضل من الله ونعمة من الله علىٰ عبده؛ بل هي أجلّ النعم وأعظمها علىٰ الإطلاق، يقول الله تعالىٰ: ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُواْۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُمۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾﴾[الحجرات]، فالإيمان منّة الله وهبته وعطيّته ونعمته علىٰ عبده المؤمن، فلولا الله لما حصل له الإيمان ولما قام بطاعة الرحمٰن ولما أدّىٰ العبادة علىٰ الوجه الذي يرضيه -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ.

---

(١) **البخاري**: كتاب التوحيد، باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم، برقم: (٧٥١٠). **مسلم**: كتاب الإيمان، باب أدنىٰ أهل الجنة منزلة فيها، برقم: (١٩٣).

ولهٰذا علىٰ العبد الذي وفَّقه الله -جل وعلا- للإيمان أن يحمد الله كثيرًا، وأن يثني عليه الثّناء العظيم علىٰ هٰذه المنّة، ويسأله أيضًا الثَّبات عليه والبقاء عليه إلىٰ أن يموت علىٰ ذلك.

يقول - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ- في دعائه للميّت: «**اللّٰهُمَّ من أحييته منا فاحييه علىٰ الإسلام ومن توفيته منا فتوفّه علىٰ الإيمان**»،[١] وكان يقول -صلوات الله وسلامه عليه- في دعائه: «**اللّٰهُمَّ زينّا بزينة الإيمان واجعلنا هداة مهتدين**»[٢] وكان - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ- يقول في سجوده: «**يا مقلِّب القلوب ثبت قلبي علىٰ دينك**»،[٣] فالعبد بحاجة إلىٰ عون الله وتوفيقه وتسديده ليقوم بالإيمان ليزداد إيمانه وليقوىٰ يقينه وليعظم حظُّه من هٰذا الأمر العظيم.

أيها الإخوة.. شأن الإيمان عظيم والكلام علىٰ ثمراته وفوائده ونتائجه الحميدة في الدُّنيا والآخرة شأنه عظيم والكلام فيه واسع، ونحن حديثنا عن أسباب زيادة الإيمان ونقصانه، لمّا يُدرك المسلم أهمية الإيمان وعِظم شأنه وكثرة فوائده يتمنىٰ لنفسه الزيادة فيه والتمكُّن منه وبلوغ أعلىٰ درجاته، كلُّ أحد يتمنىٰ لنفسه ذلك، يتمنىٰ أن تكون منزلته فيه عالية ودرجته فيه رفيعة؛ لكنّ الأمر ليس بالأماني فقط ولو اقتصر الإنسانُ علىٰ مجرد الأمنية والتمنِّي ربما يموت وما حصل شيئا قال الله تَعَالىٰ: ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ ﴾[النساء:١٢٣]، فالإيمان ليس أماني وإنما هو اعتقاد صحيح وإيمان صحيح وعمل وطاعة وجد واجتهاد وصبر ومصابرة وبذل.

جاء عن الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ أنه قال: "ليس الأماني بالتمني ولا بالتحلي ولكن الإيمان ما وقر في القلب وصدقته الأعمال"، هٰذا هو الإيمان، ولهٰذا يجب علىٰ العبد أن ينهض بنفسه نهوضًا عظيمًا وأن يبتعد عن الركون والكسل والدَّعة وأن يجد ويجتهد ويثابر ويسعىٰ سعيًا حثيثا لينال المنزلة الرفيعة والدرجة العالية من الإيمان وهو في ذلك كله مستعينًا بالله -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ- كما قال - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ-: «**احرص علىٰ ما ينفعك واستعن بالله**».[٤]

ولهٰذا كان من المناسب أن نتذاكر شيئًا من أسباب زيادة الإيمان لنجاهد أنفسنا جميعا علىٰ تحصيلها واكتسابها مستعينن بالله، وأن نتذاكر أسباب نقص الإيمان حتىٰ يجاهد المسلم نفسه علىٰ اجتنابها

---

(١) **سنن الترمذي**: كتاب الجنائز، باب ما يقول في الصلاة علىٰ الميت، حديث رقم (١٠٢٤). **سنن ابن ماجه**: كتاب الجنائز، باب ما جاء في الدعاء في الصلاة علىٰ الجنازة، حديث رقم (١٤٩٨). قال **الألباني**: صحيح.

(٢) **سنن النسائي**: كتاب السهو، باب نوع آخر من الدعاء (٦٢)، حديث رقم (١٣٠٥، ١٣٠٦)، قال الألباني: صحيح.

(٣) **سنن الترمذي**: كتاب القدر، باب ما جاء أن القلوب بين أصبعي الرحمٰن، حديث رقم (٢١٤٠)، قال الألباني: صحيح.

(٤) **مسلم**: كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والإستعانة بالله وتفويض المقادير لله، حديث رقم (٢٦٦٤).

والبعد منها والحذر من الوقوع فيها، ولهٰذا فإنّ المؤمن الموفَّق الذي يحرص علىٰ إيمانه عنده في هٰذا الباب نظران مهمّان:

- أن ينظر في الأمور التي هي مكمّلات للإيمان ومقوياته وأسباب زيادته ورفعته ونمائه، ويتعلّمها ويعرفها معرفة جيدة، ثم يغالب نفسه ويجاهدها علىٰ القيام بتلك الأسباب وتحقيقها لترتفع درجاته في الإيمان.

- ونظرٌ آخر وهو أن ينظر إلىٰ الأمور التي من شأنها أن توهّي الإيمان وتضعفه وتنقصه وتقلل منه فيحذر منها ويجتنبها، ولهٰذا كما أنّ المسلم مطالَب بمعرفة الخير ليفعله ويطبقه فإنه كذلك مطالَب بمعرفة الشَّر ليحذره ويجتنبه، كما جاء في «صحيح البخاري» عن حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: "كان أصحاب رسول الله ﷺ يسألونه عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافته".

ولهٰذا - كما قلت - المسلم الموفق يحتاج في هٰذا الباب العظيم إلىٰ نظرين:

أن ينظر أولًا إلىٰ الأمور التي تزيد في الإيمان وتقوي الإيمان وترفع من شأن الإيمان فيحافظ عليها أشد المحافظة.

وأيضًا يعرف الأمور والأسباب التي تُنقص الإيمان وتضعف الإيمان وتقلل من شأن الإيمان فيجتنبها.

وسأحاول -مستعينًا بالله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ- أن ألخِّص الاسباب التي تزيد في الإيمان، وأيضًا الأسباب التي تنقص الإيمان، ولنبدأ أولًا بالكلام علىٰ الأسباب التي تزيد في الإيمان:

أهمّ أمر يزيد في الإيمان ويقوّيه وينمّيه ويرفع من شأنه ومكانته العلم النافع: تعلُّم العلم ومذاكرته ومدارسته والاجتهاد في تحصيله، هٰذا أعظم أمرٍ يزيد في الإيمان، ولهٰذا جاءت النصوص الكثيرة والأدلة العديدة في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ مرغِّبةً في العلم، حاثة عليه، منوِّهةً بشأنه، مبيِّنة لعظيم مكانته وعظيم مكانة أهله عند الله تبارك وتعالىٰ كقوله سبحانه: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ﴾[الزمر:٩]، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾[فاطر:٢٨]، وقوله سبحانه: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾[المجادلة:١١].. ونحوها من الآيات، والآيات في هٰذا المعنىٰ كثيرة.

وفي الحديث يقول ﷺ: «**من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهّل الله له به طريقًا إلىٰ الجنة**»،(١) وتأملوا

(١) **سنن الترمذي**: كتاب العلم عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في فضل الفقه علىٰ العبادة، حديث رقم(٢٦٨٢). **سنن ابن ماجه**: باب فضل العلماء والحث علىٰ طلب العلم، حديث رقم (٢٢٣). قال الألباني: صحيح.

قوله عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: «**سهّل الله له به طريقًا إلىٰ الجنة**» ونحن نعلم أن الجنة إنما تنال بعد رحمة الله عَزَّوَجَلَّ بالإيمان والعمل الصالح، وهنا يبيِّن - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ- أن العلم يسهل طريق الجنة لماذا؟ لأنّ المرء بعلمه النافع يحسّ ويشعر بعظم الأمر وعظم ماهو قادم إليه وعظم الموقف وعظم الثواب وأيضا عظم العقاب، ويتعرّف من خلال علمه علىٰ أمورٍ كثيرة تقوِّي مراقبته لله وتزيد من خشيته لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وتزيد في علمه وطاعته وجدِّه واجتهاده، ولهٰذا الحاجة إلىٰ العلم ماسّة وضرورية.

وهناك من العلم ما يسميه أهل العلم "المعلوم من الدِّين بالضرورة" الذي لا يجوز لأحد أن يجهله؛ كالتوحيد، وأركان الاسلام.. ونحو ذلك من الأمور التي هي تُعلَم من الدين بالضرورة يجب علىٰ كل مسلم أن يعرفها، وتوصَف بأنها فروض أعيان لا يسع أحد من المكلَّفين جهلها وعدم العلم بها. فالعلم شأنه في زيادة الإيمان عظيم وهو أعظم أمر يزيد في الإيمان.

ولنقف هنا -أيها الإخوة- عند جوانب العلم التي تزيد في الإيمان؛ لأنه كما تعلمون العلم أبوابه واسعه وفنونه كثيرة ومجالاته متعددة، لكن **ما هي أهم العلوم التي تزيد في الإيمان؟**

أولًا: العلم بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وأسمائه وصفاته ومعرفته -جل وعلا- معرفة صحيحة.

والعبد -أيها الإخوة- كلّما زاد معرفة بالله وأسمائه وصفاته وعظمته وجلاله وكماله وجماله وقدرته وعلمه وإحاطته.. ونحو ذلك كلّما ازداد علمًا بالله ومعرفةً به زاد إيمانًا وعملًا وتقوىٰ وصلاحًا، كما قال بعض أهل العلم: "من كان بالله أعرَف كان منه أخوَف".

قد مرّ معنا قول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾[فاطر:٢٨]، فأشدّ الناس خشية الله وخوفًا منه ومراقبتةً له العلماء الذين عرفوا الله؛ عرفوا أسماءه وصفاته وعرفوا عظمته وجلاله وكبريائه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولهٰذا المسلم بحاجة إلىٰ هٰذه المعرفة.

وقد صح في الحديث المخرَّج في «الصحيحين» من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «**إنّ لله تسعة وتسعين اسمًا من أحصاها دخل الجنة**»[1] تأملوا قوله: «**من أحصاها دخل الجنة**» فإحصاء التسع والتسعين اسمًا أو إحصاء تسعٍ وتسعين اسمًا من أسماء الله سبب عظيم من أسباب دخول الجنة؛ بل هو من أعظم أسباب دخولها «**من أحصاها دخل الجنة**».

---

(١) **البخاري**: كتاب التوحيد، باب إن لله مائة اسم إلا واحد، حديث رقم (٧٣٩٢).

مسلم: كتاب الذكر، باب في أسماء الله تَعَالىٰ وفضل من أحصاها، حديث رقم (٢٦٧٧).

«**إنّ لله تسعة وتسعين اسمًا من أحصاها دخل الجنة**» هنا قد يظن بعض الناس- بسبب قلة العلم- أنّ المراد بإحصاء تسعة وتسعين اسمًا لله هو أن يحفظها غيبًا وأن يضعها في جيبه في ورقة فيقرأها في بعض الأوقات، أو أن يضعها في لوحة جميلة مزخرفة مزينة ومنمّقة فيضعها في زاوية البيت لوحة جمالية يجمِّل بها بيته، ويغيب هؤلاء عن حقيقة المراد بقول النبي ﷺ: «**من أحصاها**» إذْ ليس إحصائها بحفظها فقط؛ بل لا يكون الإحصاء إلا بحفظها ومعرفة معانيها والعمل بما تقتضيها؛ بهٰذا يكون محصيًا لها.

يحفظ المسلم مثلًا أنّ من أسماء الله (العليم) وهٰذا اسم من أسماء الله العظيمة ورد في القرآن في مواطن كثيرة- ويفهم معناه، لأنّ كل اسم من أسماء الله دال علىٰ صفة عظيمة، فاسمه (العليم) دالٌّ علىٰ كمالة علمه سبحانه وأنّ له علم كامل محيط بكل شيء، يعلم سبحانه ما كان وما يكون ومالم يكن لو كان كيف يكون، أحاط بكل شيء علمًا وأحصىٰ كل شيء عددًا، علمٌ كاملٌ لم يسبقه جهل -تقدّس الله عن ذلك- ولا يلحقه نسيان ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ۝٦٤﴾[مريم]، وعلمٌ محيط بكل شيء، يقول سبحانه: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝١ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ۝٢ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝٣﴾[سبأ] **فعلمه محيط بكل شيء** ﴿إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ۝١٦﴾[لقمان]، **فعلمه محيط بكلِّ شيء،** فلمّا يؤمن العبد بأنّ الله عليم يُثْبِت العلم صفةً له، ويستشعر إحاطة علم الله بكل شيء، وأنه سبحانه أحاط بكل شيء علمًا وأحصىٰ كل شيء عددًا يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

ولهٰذا أكبر واعظٍ وأكبر زاجر وأكبر أمر يعين العبد علىٰ الطاعة والإيمان إيمانه بعلم الله به واطِّلاعه عليه ورؤيته له.

لمّا تقرأ في القرآن ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾[الشورىٰ]، هٰذان اسمان عظيمان، ﴿ٱلسَّمِيعُ﴾ فيه إثبات السمع لله وأنه سبحانه من فوق سبع سموات يسمع مناجاة العبد ومناداته، ولمّا رفع الصحابة أصواتهم بالتكبير قال لهم النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: «**أَربعوا علىٰ أنفسكم فإنكم لا تدعون أصمًا ولا غائبًا وإنما تدعون سميعًا بصيرًا**»،[1] ولمّا جاءت المجادلة إلىٰ النبي - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ- تجادله في زوجها

(١) **البخاري**: كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، حديث رقم (٤٢٠٥). مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب استحباب خفض الصوت بالذكر، حديث رقم (٢٧٠٤).

وتشكي إلىٰ الله أتته في بيته - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ- وكانت عائشة عنده في البيت في طرفه الآخر ليس بينها وبين النبي - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ- إلا حجاب أو ستار أو ساتر والمرأة تناجيه تتكلم معه بصوت خافت وتشتكي إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ من زوجها، عائشة في طرف البيت كانت تسمع بعض الكلام ويغيب عنها كثير منه، وينزل قول الله تعالىٰ بعد شكايتها: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ۝١﴾[المجادلة]، تقول عائشة: "سبحان الذي وسع سمعه الأصوات" تسبِّح الله؛ سبحان الذي وسع سمعه الأصوات، تقول: "أنا في جانب البيت يغيب عني أكثر كلامهم والله سمع ذلك كله من فوق سبع سموات"، فهو سبحانه يسمع جميع الأصوات علىٰ اختلاف اللغات وعلىٰ تفنن الحاجات، لو أنّ الناس كلهم من أوّلهم إلىٰ آخرهم قاموا علىٰ صعيدٍ واحد وسألوا الله -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ- كل واحد بلغته لسمع أصواتهم جميعًا دون أن يختلف عليه صوت بصوت أو حاجة بحاجة أو مسألة بمسألة أو لغة بلغة، والإنسان لو تحدَّث عنده اثنان أمامه لاختلط عليه الأمر ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ﴾[الأحزاب:٤].

فلمّا يتأمّل الإنسان في سمع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وأنه يسمع نداءه ودعاءه وطلبه ورجاءه يُقبل عليه ويحرص ألا يسمع منه ربه إلا ما يسرُّه، أن يسمع منه ذكر ودعاء وخير وكلام معروف وحسن.

وعندما يتأمل العبد في اسم الله (البصير) وهو دال علىٰ ماذا؟ علىٰ أنّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يرىٰ ببصرٍ نافذٍ كل شيء، مثل ما جاء عن بعض الصحابة يصف الله قال: "إنّ الله عَزَّوَجَلَّ يرىٰ دبيب النملة السوداء علىٰ الصخرة الصماء في ظلمة الليل"، أنت لو جئت عند صخرة صماء في ليلة مظلمة وفوقها نملة تمشي واقتربت منها ما ترىٰ شيء، ربما الصخرة نفسها لا تراها، وربك -جل وعلا- يراها من فوق سبع سماوات؛ بل ويرىٰ جريان الدم في عروقها ويرىٰ كل جزء من أجزائها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

يا من يرىٰ مدّ البعوض جناحها ... في ظلمة الليل البهيم الأليل

فهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يرىٰ كل شيء، لا يغيب عن بصره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ شيء.

فيتأمّل العبد في رؤية الله له واطلاعه عليه، ويتأمل في أسماء الله الحسنىٰ والقرآن كما ذكر أهل العلم فيه ما يزيد علىٰ الثمانين اسمًا من أسماء الله، وفي السنة أيضًا كثير، وليست أسماء الله الحسنىٰ محصورة في تسعة وتسعين؛ بل هي أكثر من ذلك بكثير، لكن الله عَزَّوَجَلَّ كما جاء في الحديث الذي مرّ معنا خصّ من أسمائه تسعة وتسعين اسمًا من أحصاها دخل الجنة، ولهٰذا يحتاج المسلم ليزداد إيمانه أي يتعرَّف إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ وأن يعرف أسمائه وأن يتأملها وأن يتدبرها وأن يعرف معانيها ودلالتها وأن يعمل بما تقتضيه.

وأسماء الله في القرآن كثيرة، وكلّما ازداد الإنسان حرصًا عليها وحبًّا لها وعنايةً بها كان لها أثرها البالغ علىٰ إيمانه قوّة وزيادة ونماء.

أحد الصحابة أرسله النبي -عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ- في سريّة وكان يصلي بهم ويختم في كل ركعة بـ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ① ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ② لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ③ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ④﴾[الإخلاص]. فقالوا له في ذلك ورفعوا أمره إلىٰ النبي -عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ- فقال لهم -عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ-: «**اسألوه لأي شيء يفعل ذلك؟**» -ما السبب؟- فسألوه، فقال: لأنّ فيها صفة الرحمـٰن وأنا أحب الرحمـٰن، هٰذا هو السبب، فذكروا ذلك للنبي -عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ- فقال: «**أخبروه أنّ حبك إياها أدخلك الجنة**».(١)

فالمسلم عندما يحب أسماء الله ويحب صفات الله عَزَّوَجَلَّ ويعتني بفهمها وتعلمها ودراستها والعمل بما تقتضيه يزيد إيمانه ويقوىٰ قوة عظيمة بحسب حظِّه من هٰذه المعرفة.

هٰذا ما يتعلّق بالأسماء والصفات الحسنىٰ لله والحديث أيضًا في هٰذا واسع.

من جوانب العلم التي تزيد في الإيمان: قراءة القرآن الكريم وتدبّره وتأمّل آياته وفهم معانيه.

والقرآن كلام الله، وكلامه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ صفة من صفاته سبحانه فعندما يتأمّل العبد في القرآن ويعتني به حفظًا وقراءة ومذاكرةً وتأملًا وتدبرًا يزيد إيمانه ويقوىٰ، ولهٰذا جاءت الآيات الكثيرة في القرآن بالأمر بتدبر القرآن: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ㉙﴾[ص]، ويقول تعالىٰ: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ㉔﴾[محمد]، ويقول تعالىٰ: ﴿ قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ㊅ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ㊆ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُواْ ٱلْقَوْلَ﴾[المؤمنون]؛ أي لو أنهم تدبروا القول وهو كلام الله عَزَّوَجَلَّ لهداهم إلىٰ الخير ودلّهم إلىٰ الصواب وأوقفهم علىٰ الحق، ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾[التوبة:٦]، فسماع كلام الله وقراءته وتدبره وتأمله فيه النفع العظيم والفوائد الكبيرة للعبد المؤمن، ولا يقرؤه هذًّا وإنما يقرؤه قراءة تدبر وإيمان وتأمل ومعرفة مراد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كما قال بعض أهل العلم: عندما تقرأ السورة تقرؤها وأنت لا تقول متىٰ أنتهي منها وإنما تقول: متىٰ أقوم بما تدل عليه، متىٰ أفهم مراد الله فيها، متىٰ أعقل عن الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- خطابه، فتقرؤها وأنت تطمع في معرفتها ومعرفة دلالتها ومعانيها ومقاصدها وتحرِص علىٰ ذلك، وتعتني بفهم الآيات

(١) **البخاري**: كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلىٰ توحيد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، حديث رقم (٧٣٧٥). **مسلم**: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة (قل هو الله أحد)، حديث رقم (٨١٣). والحديث بلفظ: «**سلوه لأي شيء يصنع ذلك**» فسألوه فقال: لأنها صفة الرحمن فأنا أحب أن أقرأ بها. فقال رسول الله ﷺ: «**أخبروه أن الله يحبه**».

فهمًا صحيحًا، وأهل العلم -رحمهم الله وجزاهم عن المسلمين خيرًا- كتبوا في تفسير القرآن وبيان معانيه كتبا كثيرة وهي من حيث أحجامها وأعداد مجلداتها كثيرة جدًّا، فاعتنوا ببيان القرآن، ولهٰذا يحتاج المسلم أن يمرّ ولو علىٰ كتاب واحد من كتب التفسير حتىٰ يفهم مراد الله عَزَّوَجَلَّ فهمًا صحيحًا.

ومن أحسن التفاسير التي تتناسب مع المبتدئين وعامة المسلمين؛ بل يستفيد منها العلماء الكتاب المعروف بـ«تيسير الكريم الرحمٰن في تفسير كلام المنّان» للشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ فهٰذا الكتاب من أحسن ما يكون في توضيح معاني القرآن وشرحها وعرضها بأسلوب سهل يفهمه كل أحد.

فالشاهد أنّ العبد يحتاج إلىٰ أن يعتني بالقرآن ومذاكرته ومدارسته ليزداد بذلك إيمانًا ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾[التوبة]، هٰذا شأن المؤمن عندما يقرأ القرآن ويتأمل القرآن ويتدبر فيه يزيد إيمانه.

وقد صحّ في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن الله يرفع بهٰذا القرآن أقوامًا ويضع آخرين**»،[1] وفي الحديث الآخر يقول: «**القرآن حجة لك أو حجة عليك**»[2] ومعنىٰ هٰذا أنّ المسلم إذا تدبر القرآن وعمل بالقرآن واعتنىٰ بتطبيق أحكام القرآن كان القرآن حجة له، قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: إذا سمعتَ الله يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ فأرعها سمعك، فإنما هو خير تؤمر به أو شر تنهىٰ عنه. فيتأمل الإنسان في كلام الله ويتدبر ويحرص علىٰ أن يطبق كلام الله عَزَّوَجَلَّ وأن ينفِّذه وأن يقوم به علىٰ التمام والكمال.

جاء عن بعض السلف -أظنه قتادة- قال: "ما جالس أحد هٰذا القرآن إلا قام منه بزياة أو نقصان"، ومعنىٰ ذلك: إذا تعلّمه وفهمه وعمل به زاد إيمانه، وإذا أعرض وأهمل العناية بفهمه وتطبيقه ينقص إيمانه.

ولهٰذا يقول العلماء: هجر القرآن أنواع، منها:

- هجر التلاوة، بعض الناس ربما يمضي عليه شهر كامل لا يفتح المصحف ولا ينظر فيه، مع أنّ بعض السلف إذا مرّ عليه يوم واحد ما قرأ في القرآن يبكي، يوم كامل يمرّ ولا يفتح القرآن ويقرأ في كلام الله يتحسّر علىٰ يوم يمضي بهٰذه الطريقة، بعض الناس ممكن يمضي عليه شهر وهو ما يفتح المصحف

---

(١) مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه...، حديث رقم (٨١٧).

(٢) مسلم: كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء، حديث رقم (٢٢٣).

ليقرأ ويتدبر، وبعض الناس يقرؤه في رمضان فقط وإذا انتهىٰ رمضان انتهىٰ عهده بالقراءة بالمصحف، فمن أنواع هجر القرآن هجر التلاوة.

- وهناك هجر للفهم، يعني ما يحرص علىٰ أن يفهم كلام الله فيهجر فهم القرآن.
- وهناك هجر آخر وهو هجر العمل بالقرآن، فتجده يقرأ ويفهم؛ لكن لا ينفذ ولا يعمل بما أمره الله به.

فمن الأمور التي تزيد في الإيمان وتقوِّيه تأمل القرآن.

ومن الأمور التي تزيد في الإيمان: تأمّل محاسن الدين الاسلامي هٰذا الدين العظيم الذي منّ الله علينا به، فهٰذا الدِّين كله محاسن، إن نظرت إلىٰ عقائده فهي أصح العقائد وأحسنها وأتمها وأكملها، وإن نظرت إلىٰ عباداته فهي أكمل العبادات وأحسنها، إن نظرت إلىٰ آداب الدِّين وأخلاقه تجدها أكمل الآداب وأحسن الآداب.

ولهٰذا الذي يتأمل هٰذا الدِّين الاسلامي العظيم ومحاسنه وكله محاسن يجد فيه ما يزيد في رغبته فيه وحرصه عليه، ومن نعمة الله علينا في هٰذا الدين العظيم أنه تناول كل جانب من جوانب الحياة، بيّن لك المعتقَد الصحيح والإيمان السليم، بيّن لك الكلمات النافعة والأقوال الصحيحة، بيّن لك العبادات الطيّبة والقربات النافعة، بيّن لك الأخلاق والآداب، تناول كل جانب، ولم يمت -صلوات الله وسلامه عليه- إلا بعد أن أنزل الله قوله تعالىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[المائدة:٣]، فدينٌ رَضِيَه الله وأتمّه وأكمله، وهو دين يتناول كل جانب من جوانب الحياة، حتىٰ عندما يقضي الإنسان حاجته يأتي الدين بالآداب والقيم والأخلاق العظيمة التي ينبغي أن يكون عليها المسلم، ما تجدها في أي دين أو أي مذهب، في كل جانب، حتىٰ إنّ بعض اليهود جاؤوا إلىٰ بعض الصحابة يسخرون قالوا: إنّ نبيكم ما ترك شيئًا إلا علمكم إياه حتىٰ الخراءة؟ -لمّا يريد الواحد يقضي حاجته أيضا علمكم؟- فقال سلمان: نعم، وهٰذه يعدونها منقبة فقال: حتىٰ الخراءة علمنا قال: «**لا تستقبلوا القبلة ببول أو غائط، ولا تستنجوا بعظم ولا رجيع، ولا يمسّن أحدكم ذكره بيمينه**»(١).. فأخذ يعدد الاشياء التي تعلموها من النبي ﷺ حتىٰ في قضاء الحاجة، فتجد كمال الدين وتمامه وتناوله لكل جانب من جوانب الحياة.

فلمّا يتأمل الإنسان في هٰذا الدين العظيم يزداد اقبالًا عليه وحرصًا علىٰ التّمسك فيه.

---

(١) مسلم: كتاب الطهارة، باب الاستطابة، حديث رقم (٢٦٢).

ومن الأمور التي تزيد في الإيمان -أيها الاخوة- تأمل سيرة النبي الكريم - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ- التي هي أزكىٰ سيرة وأعطر سيرة.

سيرته العطرة وهديه العظيم وسمته الكريم وشمائله الحميدة وخصاله الكريمه لمّا يتأمل العبد في سيرة النبي ﷺ وهديه وطريقته وأدبه ومعاملته وخُلقه يجد أمورًا وأمورًا وأمورًا كثيرة تزيد إيمان الشخص، وقد كان - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ- في حياته يأتيه الرجل وليس علىٰ وجه الأرض أبغض إليه منه فما أن يراه ويسمع حديثه ويرىٰ أدبه وخلقه إلا ويتحوّل من ساعته وليس علىٰ وجه الأرض أحب إليه منه.

هديه أكمل الهدي، وخلقه أكمل الخلق، حتىٰ إنّ الله عَزَّوَجَلَّ أقسم في القرآن العظيم بعظم خلقه ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾[القلم]، وخلقه كما بيَّنت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا القرآن الكريم، فعندما يتأمل المسلم في هدي النبي - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ- وسيرته وأدبه وأخلاقه ومعاملاته يزداد إقبالًا علىٰ هٰذا الدِّين ويزداد حرصًا علىٰ اتباع النبي - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ- والله يقول: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ۝٢١﴾[الأحزاب]، ويقول تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٣١﴾[آل عمران]، ويقول تعالىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ۚ﴾[الحشر:٧]،، فدراسة سيرة النبي ﷺ ومذاكرتها أمر يزيد في الإيمان.

وينبغي -أيها الإخوة- أن نربأ بأنفسنا عن طريقة بعض الناس الذين لا يعرفون سيرة النبي ﷺ إلا في بعض المواسم، الواجب علىٰ المسلم أن يعيش مع سيرته وهديه وطريقه طول عمره، ما يليق بالمسلم أن يخصِّص يومًا في السنة سواء يوم المولد أو غيره لقراءة السيرة أو قراءة بعض القصائد أو المدائح أو نحو ذلك، وإنما يعيش مع سيرة النبي - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ- كلّ حياته مثل ما كان الصحابة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وغيرهم من أصحاب النبي - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - والأئمة والعلماء والتابعين ما نعرف عن أحد منهم أنه في يوم من السنة يأتي ويقرأ سيرة أو يقرأ قصائد ويعتقد أنّ هٰذه هي المحبة، المحبة الحقيقية أن يعيش المسلم كل وقته مع هدي النبي - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ- ومع سيرته.

ولهٰذا ندعو أنفسنا وأخواننا إلىٰ العناية بسيرة النبي الكريم - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ- والاهتمام بها ومذاكرتها ومدارستها والعناية بها بكل وقت وحين، ونسأل الله أن يوفقنا جميعًا للقيام بمحبة النبي الكريم - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ- علىٰ الوجه الذي يرضا الله به عنا.

يقول عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: «**لا يؤمن أحدكم حتىٰ أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين**»،[١] ولمّا قال عمر: والله يا رسول الله لأنت أحب إلي من كل شيء إلا نفسي، قال - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ-: «**لا يؤمن أحدكم حتىٰ أكون أحب إليه من نفسه**»،[٢] فهل الذي يحب النبي ﷺ محبة أشد من محبته لنفسه يقتصر علىٰ يوم في السنة في السيرة والأناشيد، المسلم يعيش مع السيرة في كل وقت ويحرص علىٰ القيام بها وتطبيقها والعمل بطريقة النبي الكريم - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ.

وأنا أسأل الله الكريم رب العرش العظيم بأسمائه وصفاته العليا أن يوفقنا وإياكم لاتباع سنته، والاهتداء بهديه، وسلوك طريقته، وأن يحشرنا جميعًا في زمرته وتحت لوائه إنه سميع مجيب، وأن يسقينا من حوضه شربة هنيئة لا نظمأ بعدها أبدًا.

أيضًا من أسباب زيادة الإيمان وقوته دراسة سيرة الصحابة وقراءة تاريخهم وأخبارهم، فهي سيرة كريمة لأنّ الصحابة قومٌ ربَّاهم وعلمهم وأدبهم رسول الله - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ- قوم منّ الله عليهم وأكرمهم برؤية النبي الكريم - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ- وأخذ الدين مباشرة؛ يرونه يصلي فيصلون مثله، يرونه يحج فيحجون مثله، يرونه يقوم بأعمال الخير فيقومون بأعمال الخير مثله، فتحقق لهم خيرية لا يلحقهم فيها أحد من الأمة؛ ولهٰذا قال - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ-: «**لو أنفق أحدكم مثل أحدٍ ذهبًا ما بلغ مدّ أحدهم ولا نصيفه**»[٣] هؤلاء الصحابة وأفضلهم وخيرهم وإمامهم ومقدَّمهم وأكرمهم أبو بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ثم يليه عمر الفاروق، ثم عثمان ذو النورين، ثم علي -رَضِيَ اللهُ عَن الصحابة أجمعين-، فلمّا تقرأ سير هؤلاء ترىٰ من الأخلاق الكريمة والآداب العظيمة والعبادات والطاعات ما يزيد في رغبتك بالخير وحرصك عليه.

ولهٰذا حب الصحابة إيمان وبغضهم نفاق، وكيف يُبغض مسلم عاقل أصحاب النبي - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ- وكيف يبغض مسلم أفضل أصحاب النبي - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ- وهو أبو بكر الصديق أو عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أو غيرهم من الصحابة.

---

(١) **البخاري**: كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، حديث رقم (١٣). **مسلم**: كتاب الإيمان، باب الدليل علىٰ أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير، حديث رقم (٤٥).

(٢) **البخاري**: كتاب الأيمان والنذور، باب كيف كانت يمين النبي ﷺ، حديث رقم (٦٦٣٢).

(٣) **البخاري**: كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ: «**لو كنت متخذا خليلا**»، حديث رقم (٣٦٧٣). **مسلم**: كتاب فضائل الصحابة، باب تحريم سب الصحابة، حديث رقم (٢٥٤١).

ولهٰذا بغض الصحابة أو بعضهم علامة النفاق والخذلان والحرمان في الدنيا والآخرة، الواجب علىٰ كل مسلم أن يعتني بسيرة الصّحابة وهديهم وطريقتهم وأدبهم وخُلقهم ويتعلَّم منهم ويهتدي بهديهم.

جاء قوم فسبُّوا بعض الصحابة وبلغ ذلك عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فقالت: "سبحان الله أُمِروا أن يستغفروا لهم فسبُّوهم"، الله ماذا قال؟ قال: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾[الحشر]، فتقول: أُمروا أن يستغفروا لهم فسبوهم، علىٰ أنّ الذي يسب الصحابة أو يسب بعضهم هٰذا لا يضر الصحابة شيئا لكنه من سبهم ضرَّ نفسه وجنا علىٰ نفسه الجناية التي هي أشد الجنايات وأعظمه.

الشاهد أنّ قراءة سيرة الصحابة ودراستها وكذلك سيرة التابعين والعلماء وهؤلاء أمرٌ يزيد في إيمان الشخص ويقويه.

وممَّا يزيد في الإيمان التأمّل في ملكوت السمٰوات والأرض وفي خلق الله.

السماء والأرض والجبال والأنهار والأشجار والبحار هٰذه المخلوقات صحائف ناطقة وشواهد صادقة علىٰ كمال خالقها وعظمته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، شاهدة بعظمة الله وكمال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٠﴾[آل عمران]، ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ ١٨ وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ ١٩ وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ ٢٠﴾[الغاشية]، تأملوا في هٰذه، هٰذه كلها من يتأمل فيها تدلّه علىٰ عظمة الله ويزيد في إيمان الشخص بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، بل عندما تتأمل نفسك كيف أوجدك الله عَزَّوَجَلَّ بهٰذه الصورة التي هي أكمل صورة وأحسن صورة ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ٤﴾[التين]، ﴿وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡ﴾[غافر:٦٤]، أمرنا الله عَزَّوَجَلَّ أن نتدبر في ذلك ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٢١﴾[الذاريات]، ويقول: ﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾[فصلت:٥٣].

فعندما يتأمل المسلم في نفسه وعجائب صُنع الله -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ- فيه وكيف ركّب جسمه وأجزاءه علىٰ أكمل تقويم وأحسن تقويم يجد في ذلك كله ما يزيد في إيمانه ويقويه. الشَّاهد أن تأمُّل المسلم في ملكوت السمٰوات والأرض وفي خلق الله وبدائع صنعه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كلُّ ذلك مما يزيد في الإيمان.

وممّا يزيد في الإيمان العناية بالأعمال الصالحة؛ لأنّ الأعمال جزء من الإيمان، الإيمان قول واعتقاد وعمل، فالعمل جزء من الإيمان، ولهٰذا إذا زاد عمل الشخص زاد إيمانًا، وإذا ضعف العمل ضعف الإيمان؛ لأنّ العمل من الإيمان بإجماع السلف -رحمهم الله-، ولهٰذا جاء عن عُمير بن حبيب الخطمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أحد أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: "الإيمان يزيد وينقص، قيل ما زيادته ونقصانه؟ قال: إذا ذكرناه

وحمدناه سبحانه زاد، وإذا غفلنا ونسينا وضيعنا نقص"، فالأعمال الصالحة والذكر وطاعة الله والعناية بالأمور المقرِّبة إلىٰ الله كان ذلك يزيد الإيمان ويقوي الإيمان، والتقصير في ذلك والتقليل منه وإهماله أيضًا ينقص الإيمان، فالإيمان يزيد بطاعة الله وينقص بمعصيته ﷻ.

يقول الأوزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أحد أئمة السلف: "الإيمان يزيد حتىٰ يبلغ أمثال الجبال وينقص حتىٰ لا يبقىٰ منه شيء".

ويقول الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "الإيمان يزيد حتىٰ يبلغ أعلىٰ السمٰوات وينقص حتىٰ يكون في أسفل السافلين"، فلهٰذا يحتاج الإنسان إلىٰ أن يعتني بالأعمال والطاعات والذكر والعبادات التي من شأنها أن تزيد من إيمانه وتقوي إيمانه بالله.

ومن الأمور التي تزيد في الإيمان أيضًا سماع الخير، سماع الذكر ومجالس العلم وسماع الدعوة إلىٰ الله، وهٰذا أمر ينبغي أن يعتني به المسلم، وينبغي أن يكون له حظًّا منه ويعتني بمجالس الذكر ، مجالس الخير ، مجالس الإيمان والعلم.

الصحابه مع مكانتهم في الإيمان كان يأتي عنهم آثار تدل علىٰ عنايتهم بهٰذا الجانب العظيم، عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ جاء عنه أنه يأخذ بيد بعض النفر من أصحابه ويقول: "تعال نزدد إيمانًا"، وجاء هٰذا المعنىٰ عن غيره من الصحابة، فالإنسان مع زحمة الحياة وكثرة المشاغل وكثرة الصوارف قد يغفل وينسىٰ ولهٰذا يحتاج إلىٰ أن يأتي مجالس الخير ومجالس الذكر ومجالس الإيمان فيتعلّم، وفي هٰذه المدينة المنورة أحسن مكان لطلب العلم مسجد النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- وبحمد الله فيه مجالس علم مباركة، فينبغي أن يكون للإنسان حظ منها يرتاد المسجد ليصلي ويقرأ القرآن الكريم ويحضر حلق العلم، هٰذا أمر يزيد في إيمان الشخص ويقويه.

هٰذا بعض الحديث عن أسباب زيادة الإيمان، وبقي الآن الحديث عن أسباب نقص الإيمان لكن الوقت الآن ضاق علينا فالخصها في نقاط سريعة جدًّا:

الإيمان ينقص بأسباب كثيرة جدا؛ لكن تعود في جملتها إلىٰ أمرين:

- أسباب خارجية.

- وأسباب داخلية.

هناك أسباب داخلية من الإنسان نفسه تقع منه فتكون... الجهل من أعظم الأمور التي تنقص الإيمان وتوقع الإنسان في أمور لا تليق بالمسلم، ودواء الجهل العلم أن يتعلم الإنسان ويحرص علىٰ مجالس العلم.

ومن الأسباب الداخلية الغفلة والنسيان والإعراض ونحو ذلك، ولهٰذا يحتاج المسلم أن يجاهد نفسه كما قال الله: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾[العنكبوت:٦٩]، فيجاهد نفسه ويغالبها علىٰ ذلك.

أيضًا من الأسباب الداخلية التي تُضعف الإنسان وتضعف إيمانه النفس الأمارة بالسوء، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ ﴾[يوسف:٥٣]، فبين جنبتي الإنسان نفس أمارة بالسوء ولهٰذا يحتاج الإنسان أن يقاومها وأن يمنعها من أن توصله إلىٰ أمور لا يحبها الله عَزَّوَجَلَّ ولا يرضاها، فيقاوم نفسه الأمارة بالسوء ويجاهدها ولا يستجيب لندائها إذا دعته إلىٰ المعصية أو محرم أو نحو ذلك، فإذا استجاب الإنسان لنفسه الأمارة بالسوء ضعف إيمانه ونقص بحسب استجابته لنفسه الأمّارة بالسوء.

أما الأسباب الخارجية فهناك عدة أمور يأتي في مقدمة الأسباب الخارجية التي تضعف الإيمان وربما أوهبته الشيطان الرجيم -أعاذنا الله وإياكم منه- ﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنۡ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحۡضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾[المؤمنون]، ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ﴾[فصلت:٣٦]، فالشيطان الرجيم -أعاذنا الله وإياكم منه- مهمته وغايته وهدفه في حياته صد الناس عن دين الله ﴿ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾[الأعراف]، ولهٰذا أكثر الناس استجابوا له إلاّ القليل الذين منّ الله عليهم بالبعد عنه ﴿ وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾[يوسف:١٠٣]، ولاحظ الآية التي مرت معنا ﴿وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾[الأعراف]، فلهٰذا يسأل الإنسان ربه أن يعيذه من الشيطان وأن يقيه شروره وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه**»[1] يعني ما من طريق يمشي فيه إلا اذا كان طريق شر يجلس ليشجعك، وكل طريق يسلكه الإنسان الشيطان جالس فيه، ولهٰذا يحتاج إلىٰ أن يستعيذ بالله من الشيطان في كل وقت وفي كل حين حتىٰ يسلم منه ومن شروره، وأعظم ما يُتقىٰ به الشيطان ذكر الله، والله يقول: ﴿وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٞ ﴿٣٦﴾﴾[الزخرف]، فهٰذا السبب الأول.

---

(١) **سنن النسائي**: كتاب الجهاد، باب ما لمن أسلم وهاجر وجاهد، حديث رقم (٣١٣٤)، قال الألباني: صحيح. والحديث خرجه الألباني تخريجا وافيا في «السلسلة الصحيحة» برقم (٢٩٧٩).

السبب الثاني الدنيا وفتنها، الدينا أيضًا وفتنها ومغرياتها تضعف إيمان الشخص، وقد ينشغل بها ويقبل ويلهث وراءها ويكب علىٰ طلبها فينسىٰ صلاته وينسىٰ عبادته وينسىٰ طاعته وينسىٰ ذكره لله - تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ- فيشغله متاعها الفاني عن متاع الآخرة الباقي ورضا الرب -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ-، ولهٰذا الإنسان ينبغي عليه أن يعلم أنّ هٰذه الدنيا دار ممر ومعبر وليست دار بقاء، ومتاعها متاع الغرور الزائل الذي لا يبقىٰ، فلا يجعلها همه لكنه يكتسب فيها الرزق ويطلب فيها المعاش ﴿فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ﴾ [الملك:١٥]، يسعىٰ في ذلك؛ لكن الغاية والهدف الذي خُلق لأجله ووجد لتحقيقه يهتم به ويعتني به ولا يجعل الدنيا تصرفه عن الغاية التي وجد لأجله وخلق لتحقيقها.

الأمر الثالث من الأمور التي تكون سببًا في ضعف الإيمان: قرناء السوء وخلطاء الشر والفساد، وقد جاء في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «**المرء علىٰ دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل**»،[1] ولهٰذا المسلم الحريص علىٰ إسلامه وإيمانه يحرص علىٰ أن ينتقي من الإخوان والرفقاء ممن يزيدون فيه الخير ويزيدون فيه الطاعه والإيمان والعبادة والإقبال علىٰ الله ﷻ ويحذر قرناء السوء.

والنبي ﷺ ضرب لنا مثلًا -لا يخفىٰ علىٰ الإخوة- في هٰذا الباب؛ وهو: «**مثل الجليس الصالح والجليس السوء**... »[2] بيّن أنّ الجليس الصالح مثله كمثل حامل المسك إمّا أن يهديك أو تبتاع منه، ومثل الجليس السوء كنافخ الكير إمّا أن يحرق ثيابك وإما أن تشم منه رائحه خبيثة، فالإنسان يختار الرفقاء الذين يعينونه علىٰ طاعة الله وعلىٰ التقرب من الله ﷻ ويحذر من مجالس اللغو ومجالس الغفلة ومجالس الغيبة والنميمة ومجالس الفحش والبذاء ونحو ذلك، فهٰذه مجالس يقوم فيها الإنسان بالحسرة والندامة ويأسف عليها أشد الأسف عليها، فيحذر المسلم من قرناء السوء.

هٰذا تلخيص للأمور التي يزيد بها الإيمان والأمور التي ينقص بها الإيمان.

وختامًا نتوجّه إلىٰ الله ﷻ بأسمائه الحسنىٰ وصفاته العظيمة أن يزيننا وإياكم بزينة الإيمان، وأن يجعلنا هداة مهتدين وأن يوفقنا لكل خير يحبه ويرضاه، وأن يعيننا وإياكم علىٰ ذكره وشكره وحسن عبادته، وأن ينفعنا وإياكم بما علمنا وأن يزيدنا علمًا، وأن يجعل ما سمعناه حجة لنا لا حجة علينا. والله أعلم، وصلىٰ الله وسلم وبارك وأنعم علىٰ عبده ورسوله محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

---

(١) **سنن الترمذي**: كتاب الزهد، باب (٤٥)، حديث رقم (٢٣٧٨)، قال الترمذي: هٰذا حديث حسن غريب. قال الشيخ الألباني: صحيح.

(٢) **البخاري**: كتاب الذبائح والصيد، باب المسك، حديث رقم (٥٥٣٤). **مسلم**: كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب مجالسة الصالحين ومجانبة قرناء السوء، حديث رقم (٢٦٢٨).

الفهرس

المقدمة..... ٢
أهمية الإيمان بالله..... ٢
أمران مهمان لمن يحرص علىٰ زيادة إيمانه..... ٥
أسباب زيادة الإيمان..... ٥
السبب الأول: تعلم العلم..... ٥
السبب الثاني: قراءة القرآن..... ٩
السبب الثالث: تأمل محاسن الدين الإسلامي..... ١١
السبب الرابع: تأمل سيرة النبي الكريم..... ١٢
السبب الخامس: دراسة سيرة الصحابة وتاريخهم..... ١٣
السبب السادس: التأمل في ملكوت الله..... ١٤
السبب السابع: العناية بالأعمال الصالحة..... ١٤
السبب الثامن: سماع الذكر ومجالس الذكر..... ١٥
أسباب نقصان الإيمان..... ١٥
من الأسباب الداخلية: الجهل..... ١٦
من الأسباب الداخلية: الغفلة والإعراض..... ١٦
من الأسباب الخارجية: الدنيا وفتنتها..... ١٧
من الأسباب الخارجية: قرناء السوء..... ١٧
الفهرس..... ١٨